مجلة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892 المجلد 17 العدد 1 (2024): 360- 376

أبعاد ومظاهر الاقصاء الاجتماعي: مقاربة سوسيولوجية

Dimensions and manifestations of social exclusion: Sociological approach

جميلة أوشان
جامعة غرداية (الجزائر) ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الاسلامية ouchen.djamila@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 27-10-2023 تاريخ القبول: 15-01-2024 تاريخ النشر:06-06-2024

ملخص:

الحديث عن الطبقة المهمشة هو اهتمام أول للإعلام بكل أنواعه، والسياسيين على اختلاف تشكيلاتهم فهو الموضوع الأساسي في حملاتهم وخطبهم ورهان صعب لبرامجهم، وغالبا ما تتناول الظاهرة سياسيا وكأنها تتعلق فقط بفعل الدولة والجماعة السياسية في المجتمع في حين يتم إهمال فعل الأفراد والمجتمع المدني.

في هذه الورقة وإن كنا نعترف بأهمية البعد السياسي والاقتصادي نريد أن نبرز أبعاد أخرى في تشكيل هذه الظاهرة، إذ نريد أن نعرف ما هي أبعاد الإقصاء الاجتماعي عموما وفي المجتمع الجزائري خصوصا وما مظاهره؟ هذه المعرفة ضرورية لإعادة خلق وعي جمعي بفاعلية الأفراد والمجتمع المدني في إعادة صياغة منظومة القيم والمعايير الناظمة للحياة الاجتماعية والعلاقات على المستوى الفردي والمؤسساتي في اتجاه تعظيم الاحترام والتقدير المتبادل والتعاون.

كلمات دالة:

الإقصاء الاجتماعي، الاعتراف، المجتمع الجزائري، الطبقة المهمشة، الأحياء الخطرة

المؤلف المرسل: جميلة أوشان: ouchen.djamila@univ-ghardaia.dz

Abstract:

Talking about the marginalized class is the primary concern of all types of media, and politicians are the main subject of their campaigns and speeches and a tough challenge for their programs. The phenomenon is often treated politically as if it concerns only the state and the political group in society, while the role of individuals and civil society is neglected.

In this article, although we recognize the importance of the political and economic dimension, we want to highlight other dimensions in the formation of this phenomenon, because we want to know what are the dimensions of social exclusion in society Algerian and what are its manifestations? This knowledge is necessary to recreate a collective awareness of the effectiveness of individuals and civil society in the reformulation of the system of values and norms regulating life and social relations at the individual and institutional levels in the direction of maximizing the respect, mutual appreciation and cooperation.

Key words:

Social exclusion, Acknowledgement, Algerian society, Marginalized class, Dangerous neighborhoods

مقدمة

الحديث عن الطبقة المهمشة يضعنا أمام إشكال مفهوم الطبقية– سواء كما هو عند ماركس، أو فيبر، أو بارسونز، أو باريتو أو غيرهم – على أساس أنه نظام تدرجي تنتمي إليه جماعة من الأفراد يعيشون نفس الظروف الاجتماعية والاقتصادية والإيديولوجية، لكنهم يختلفون عن غيرهم من الجماعات الأخرى وتتباين مصالحهم تباينا جذريا (دينكس، 1981، ص.ص 211–213) أو ما يسميها داهرندوف بالمفهوم الأكثر حداثة الزمر الاجتماعية على أساس أن التراتب التدرجي للفئات الاجتماعية لا يقوم على تعارض جذري، وإنما تعدد الزمر باختلاف المصالح والوضع الاقتصادي والامتيازات والسلطة (كابان و دورتيه، 2010، ص.ص 35–46).

فقد نجد أنفسنا ننساق إذا سرنا في هذا الدرب إلى الكثير من التقسيمات الطبقية أو الزمر على أساس فوارق مختلفة قد تكون دينية أو عرقية أو مهنية أو مادية ...في حين الإقصاء قد يحدث داخل الطبقة أو الفئة أو الزمرة الواحدة كما يحدث في المجتمع ككل.

فإذا أخذنا زمرة أو فئة الأطباء على أساس التقسيم المهني نجد داخل هذه الفئة ممارسات الإقصاء على أسس مختلفة، قد تكون على أساس جهوي، أو على أساس جامعة الحصول على الشهادة فهذه من المدرسة الجزائرية للطب وذاك من الجامعة الفرنسية، أو على أساس الجنوسة فالمرأة تقصى في الكثير من الحالات عندما يتعلق الأمر بالامتيازات والتشريفات والقيادة.

والأمور تسير على هذه الشاكلة في المجالات الأخرى خاصة تلك التي تحتل مكانة مرموقة في المجتمع من حيث الدخل المادي أو المكانة الاجتماعية كالمجال السياسي أو البنكي أو المحروقات... هذا ما يدفعنا للحديث عن الإقصاء الاجتماعي وليس الطبقة المهمشة إضافة إلى أن مفهوم الإقصاء << أوسع نطاقا من فكرة الطبقة المسحوقة علاوة على أنه يشير إلى سيرورة عملية تتمثل في آليات الإقصاء >> (غيدنز، د.ت، ص 394).

الاعتصامات والاحتجاجات ضد التهميش في بعض دول العالم العربي أو الجزائر امتدت إلى الكثير من الفئات الاجتماعية العمالية، أو الطلابية، أو البطالين سواء على محدودية فرص العمل أو غلاء الأسعار أو على مستوى المعيشة المتدني الذي لا يفي بحق المتعضية البشرية كما يحلو لـ "حنا أرندت" توصيف الحد الأدنى من العيش الذي يحفظ الوجود البشري من الهلاك، وكلها تشير إلى متتالية حسابية من العوامل التي تقصي الأفراد والفئات الاجتماعية من فرص الحياة الكريمة، التي ترتبط بمستوى طموح الأفراد والجماعات المختلفة، وبطبيعة النظام السياسي السائد، ودور

القوى الاجتماعية على اختلافها في تشكيل طبيعة التفاعلات وظروف الحياة اليومية، لا يمكننا الادعاء في هذه الورقة أننا سنقدم تفسيرا للظاهرة وإنما نقدم توصيفا لأهم أبعاد الاستبعاد أو الإقصاء كخطوة تعين على تحديد معالم الظاهرة الشديدة الالتباس والتقاطعات مع مختلف التخصصات السياسية والدينية والتربوية والاجتماعية وحتى النفسية.

من خلال وقائع موضوعية سجلناها من خلال الملاحظات والمعايشة قمنا بتفكيك مفهوم الإقصاء الاجتماعي إلى أربعة أبعاد:

1- إلغاء الآخر

2- عدم الاعتراف بالآخر

3- الاستعلاء على الآخر

4- رفض الآخر

كل بعد له تمظهرات على مستوى الواقع المعاش وهذا ما نريد أن نفصل فيه في هذه الدراسة من خلال مقاربة سوسيولوجية للظاهرة.

1- إلغاء الآخر

من أشد أبعاد الإقصاء هو إلغاء الآخر تماما من الفعل الاجتماعي، ويظهر في المنظومة السياسية والفكرية والدينية بالأخص، كإلغاء الرأي المخالف أو الاتجاه المعاكس أو إلغاء توجه ديني أو اجتهاد معين، وتبرز صور الإلغاء في القتل أو النفي أو الحبس أو المحاصرة المادية والنفسية التي تؤدي إلى السكوت أو التراجع أو الانعزال ،فيلغى الطرف الآخر من الوجود تماما كهوية اجتماعية مخالفة أو معاكسة فاعلة في المجتمع، أو استئصاله تماما كفعل اجتماعي وكوجود مادي، أو دفعه إلى الانسحاب الاجتماعي الذي قد يصل إلى حد الاغتراب بمفهوم Seeman Melvin نقلا عن حامد سرفراز على أنه العزلة الاجتماعية وشعور الفرد بالغربة عن أهدافه الحضارية لمجتمعه والشعور بالعجز واللامعنى (Sarfraz, 1997, pp. 45-60).

ففي الأنظمة غير الديمقراطية تتجمع السلطات كلها في أيدي من بيدهم الحكم داخل الدولة، ويعتقد هؤلاء أن كل نشاط فاعل يحتوي على معنى سياسي مخالف هو عمل هدم للوحدة الوطنية >< طريقة حكم تخضع بلا استثناء الرعايا كلهم لمديرهم، فتكون نتيجة هذا الإخضاع الكلي إلغاء الحرية الشخصية، وعندما يكون الدستور أمرا يصبح الناس أشياء محكومة ولا يبقى للبادرة الفردية أي مجال >< (بوتول، 1980، ص 60)، بل تخضع حتى الجماعات والتنظيمات

المختلفة طوعا أو كرها. ويصبح الفاعل الاجتماعي مجرد رقم إحصائي في ديمغرافيا ذلك المجتمع لا أثر له في سجل الحدث التاريخي والاجتماعي.

والإلغاء في المجتمعات العربية والإسلامية بهذا المعنى ظاهرة قديمة كانت مع رجال الفكر والسياسة والدين والأدب، حتى أن التاريخ يسجل موت الكثير منهم في سجونهم أو منفاهم الاختياري أو الإجباري، وهذا لا يعني أن تاريخ الغرب خال من الظاهرة، كان الكثير من المفكرين أصحاب الأفكار الجديدة مصيرهم الحرق كما حدث مع الفسلسوف الإيطالي جوردانو برونو الذي دعم نظرية كوبرنيكوس عن دوران الأرض حول الشمس والجميع يعرف المضايقات التي تعرض لها كوبرنيكوس سابقا وغاليليو لاحقا، والفيلسوف وعالم الرياضيات الفرنسي الماركيز دي كوندورسيه – وهو من رواد الفكر التقدمي آنذاك سجن بسبب أفكاره الإصلاحية في مجال التربية والتعليم سنة 1774 في سجن الراين حيث توفي بطريقة مشبوهة، والكيميائي الفرنسي الشهير أنطوان لافوازييه أعدمته الثورة الفرنسية بقطع الراس تلك الثورة التي أُطلق عليها ثورة الأنوار وقال القاضي وهو يصدر حكم الإعدام في حق لافوازييه إن الثورة لاتحتاج إلى عباقرة، والفيلسوف والجيولوجي "بيير شاردان" حرم من التدريس بسبب أفكاره الفلسفية عن التطور ونفي إلى الصين حيث مات ، وعالم الاجتماع الألماني "كارل ماركس" طرد من التدريس في الجامعة بسبب أفكاره الهيجيلية، وعالم الاجتماع الأمريكي "وليام سمنر" هدد بالطرد من الجامعة بسبب مناصرته لأفكار وأعمال سبنسر حتى رضخ... وغيرهم كثير. حتى أن " الثورات المخبرية " (التي تصنع في مخابر السلطة) التي رفعت شعارات مضادة للإلغاء والهيمنة تأتي لتمارسه في أبشع صوره كما حدث مع دي كوندورسيه ولافوازييه، أو كما حدث مع الشاعر اليمني وليد الرميشي حيث قطع " الثوار المخبرين " لسانه لأنه كتب شعرا مؤيدا لسلطة علي صالح، وكما يحدث في ليبيا وسوريا والعراق.

الإلغاء يطال النساء أيضا على مر التاريخ البشري في جميع أنحاء العالم من خلال العنف الذي يدفع الكثير من النساء إلى الالتجاء إلى ملاذ الكهف الآمن حيث المشاهدة بصمت وخوف، وقد عرف روبيرت ماكافي براون نقلا عن باربارا ويتمر (ويتمر، 2007، ص 9) العنف بأنه انتهاك للشخصية وإنكار للآخر أو تجاهله ماديا، والعنف الذي يطال النساء يتشعب من انتهاك للشخصية من خلال الاتجار بأجساد النساء إلى إنكار حقهن في الحياة، فقد جاء في تقرير لمكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة أنه في سنة 2021 أكثر من خمس نساء تتعرض للقتل من طرف العشير كل ساعة، فكل إحدى عشرة دقيقة تقتل امرأة (UNODC, 2022, p. 5)

شكل1. جرائم القتل من طرف العشير

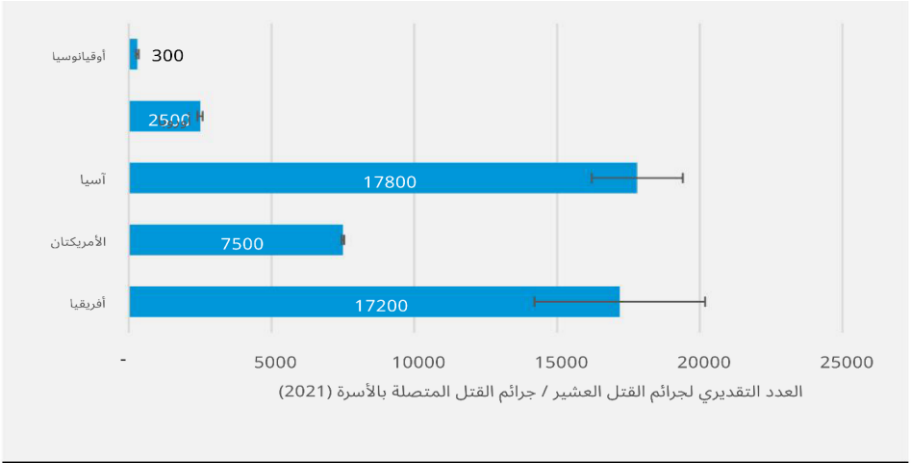

(UNODC, 2022) p.15

وقد جاء في بيان صحفي لمنظمة الصحة العالمية أن العنف ضد المرأة متوطن في كل بلد وثقافة ويعتبر عنف العشير أكثر أشكال العنف ضد المرأة انتشارا على الاطلاق على الصعيد العالمي حيث يمس العنف 641 مليون امرأة، فإن واحدة من كل ثلاث نساء تتعرض للعنف الجسدي أو الجنسي الذي لا يشمل التحرش الجنسي(WHO, 2021) .

يضاف إلى ذلك ظاهرة الإجهاض الانتقائي للإناث المنتشر بكثرة في الهند وأرمينيا والصين والفيتنام والباكستان وبعض دول وإفريقيا، الإحصائيات شحيحة نوعا ما لكن على سبيل المثال سُجّل أنه خلال سنة 1999 أكثر من 60 مليون أنثى حرمن من الحياة بسبب الإجهاض الانتقائيَ القائم على النوع الرامي إلى التخلص من الإناث(العادلي، 2005)، وعلى الرغم من تراجع الظاهرة إلى أنه في أحدث التوقعات سيشهد العالم بين عام 2021 و 2030 عجز في الإناث قدره 4.7 مليون ولادة بسبب الإجهاض الانتقائي خاصة في الصين والهند وجنوب شرق أوروبا وإفريقيا ستؤدي إلى ارتفاع نسبة الذكور يقابلها انخفاض نسبة الاناث (Chao, Gerland, Cook, Guilmoto, & Alkema, 2021)، ووفق مجموعة من الدراسات وجد أن الظاهرة تكثر في المجتمعات التي تعلي من القيمة الاقتصادية والثقافية للذكر كما هو الحال في الهند ففي دراسة (Nandini & Ganatra, 2002, pp. 184-188) وجد أن 430 من أصل 450 إمراه في عيادة ولادة في منطقة حضرية عرفن قبل الولادة أن الجنين أنثى قمن بإجهاض الجنين في

حين 250 حالة أخرى عرفن أن الجنين ذكر أبقين عليه حتى لما عرفن أن هناك خطر المشاكل الوراثية ، وفي الهند في دراسة (George & Dahiya, 1998, pp. 2191-2198) وجد أن تقنية الكشف عن جنس الجنين عززت الثقافة الهندية التي تعلي من القيم الأبوية الذكورية فالآباء يميلون إلى القيام بحسابات معينة تتعلق بعدد الأبناء وترتيب ميلادهم واتخاذ قرار وأد البنت الذي اعترفت الهند بوجوده سنة 1992 في المناطق الريفية من الجنوب، كذلك تكثر في الدول التي تفرض تحديد النسل إلى طفل أو طفلين فقط مثل الصين وكوريا الجنوبية وتايوان على الرغم من أن هذه الدول تمنع معرفة نوع الجنين قبل الولادة لمنع إساءة الاستخدام لكن مع ذلك الأمر يحدث.

في الجزائر كانت النساء تصبن بالهلع أثناء الولادة خاصة إذا كانت إحداهن أم بنات لأنها ستصبح مهددة بالطلاق وفي أحسن الأحوال تتقبل الزوجة الثانية مرغمة إذا ما كان المولود أنثى، بدأت الظاهرة في الانكماش داخل المدن الكبرى والشبه حضرية بسبب التحديث والتعليم وارتفاع مستوى الوعي لكنها لا تزال منتشرة في المناطق الريفية، في حين العنف ضد النساء سواء المادي أو الرمزي مازال موجود ويطال جميع الأعمار وجميع المستويات التعليمية والمعيشية، لا نملك الاحصائيات الدقيقة ولن تكون دقيقة أبدا كونها تنحصر فقط في الحالات التي تم الإبلاغ عنها، فقد ذكرت رئيسة مكتب حماية الأشخاص الهشة بالشرطة القضائية للمديرية العامة للأمن الوطني محافظ الشرطة "خواص ياسمينة" أنه خلال التسعة أشهر الأولى من سنة 2022 تم تسجيل 4627 قضية عنف ضد المرأة في الوسط الأسري و 4616 من خارج الأسرة وهو رقم كبير بالنسبة لسنة واحدة يظهر حجم الظاهرة (وكالة الأنباء الجزائرية، 2022).

2– عدم الاعتراف بالآخر

العلاقات البشرية ليست دائما علاقات تبادلية فالحصول على الاعتراف عمل نضالي لأن العلاقات البشرية قد تقوم على الاقصاء سواء على المستوى الدولي او المجتمعي أو على مستوى الافراد، الاعتراف بمفهوم بول ريكور أو أكسل هونيث أو حتى تضمين الاعتراف داخل الفعل التواصلي لهابرماس هو في حوصلته الحصول على التقدير الاجتماعي للأنا في تفاعلها مع الآخر كذات فاعلة بنفس القدر الذي يعطى للأنا، وهو اعتراف ضمني أيضا بالتنوع والاختلاف وإمكانية العيش المشترك ضمن ذلك الاختلاف.

تحت هذا المفهوم نتحدث مرة أخرى عن اعتراف الرجل ليس كأفراد فقط وإنما كمؤسسات بمكانة ودور المرأة في صناعة الفعل الاجتماعي والمشاركة فيه على نفس الدرجة من

القدر والتقدير الذي يعطى للأفعال الذكورية، فلا يصبح عندها العمل المنزلي ورعاية الأبناء رمز لوضع مستضعف نمى عبر التاريخ البشري كفعل مرتبط بطبيعة المرأة الموروثة عبر الأجيال والمختزلة في المملكة المنزلية منذ أن ظهر مفهوم العمل بأجر، هذه النزعة المركزية التي تحدثت عنها نانسي فريزر والمتجذرة في البنية الثقافية للمجتمعات الذكورية تعلي من الفعل والعمل الذكوري وتبخص العمل والفعل الأنثوي (Fraser, 2004, pp. 152-164). ويصبح وفق هذا المفهوم كل فعل أنثوي من نفس جنس الفعل الذكوري هو ناقص سلفا حتى قبل القيام به، لذا فالمرأة لا يمكنها القيادة أبدا كالرجال ولا الإدارة بنفس كفاءتهم ولا التدبير بحكمة ولا السياسة بحنكة، لا يمكن للمرأة أن تكون جيدة إلا في المجالات التي أنّثت بعزوف ذكوري كالتمريض والتعليم والتنظيف...

ونتحدث وفق هذا المسار التحليلي عن اعتراف عالم الكبار بعالم الشباب والأطفال كفاعلين اجتماعيين فالطفل الذي يقول لوالديه شفهيا أو سلوكيا لا أقدر، أو لا أريد، أو لا أفهم، أو أفضل هذا على ذاك لا يكون متفاعلا بل فاعلا (رودجرز، 1986، ص 111)، الطفل في هذه الحالة أدخل استجابة غير متوقعة داخل عملية التنشئة الأسرية عندما أثار استجابة تعديل الموقف من طرف الوالدين، لقد انتزع اعترافا بحقه في اتخاذ موقف معين واعترافا بكينونته الصغيرة أنها موجودة ومشاركة في توجيه مسارات التنشئة الاسرية، فالمشكل قائم على مستوى الأهداف الأساسية للتنشئة لدينا فهناك خلط مربك بين الضبط الاجتماعي والاخضاع، وبين التوجيه والترويض، مرده عدم الاعتراف بتلك الكائنات الصغيرة أنها تملك القدرة على الفهم وعلى الفعل.

ونتحدث عن الاعتراف بالتنوع العرقي أو الاثني أو اللغوي وهو في نفس الوقت اعتراف بذلك الاختلاف كإثراء للحالة البشرية الإنسانية ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (**الحجرات، 13**) فيصبحَ مغزَى التعارفَ والتواصل قَائم علىَ الاختلافَ أصلا َحتى يَحدث التعارف والاعتراف والاستئناس بكينونتنا الإنسانية كهوية أصيلة وسط الكون اللامتناهي.

3– الاستعلاء على الآخر:

اللغة العربية ثرية بمعاني الكلمات فالاستعلاء هو غطرسة وهو عجرفة وهو استكبار، وأرسطو كان يرى أن الغطرسة هي فعل إذلال الآخرين، والقرآن الكريم يبين أن الاستعلاء على الآخرين هو فعل استضعاف لهم << إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ >>(**القصص، 4**) ، وقَد يَتقاطع الاستعلاء على الآخر بعَدم الاعتراف به وبَرفضه وبِبَخَص آدميته وبإلغائه، كاستعلاء المسؤولين على بقية العمال في المراتب الأدنى منهم، وعدم الاعتراف بهم كطرف هام داخل المؤسسة وكشركاء في بناء المؤسسة خاصة في القطاع الخاص حيث مفهوم الملكية الخاصة في الذهنية البشرية على مر التاريخ هي مجموعة ممارسات تبرز الذات كقوة مطلقة على ذلك الحق بعيدا عن الاعتبارات الاجتماعية والجهد المشترك في نماء تلك الملكية، أيضا استعلاء القوي على الضعيف الذي وصفه القرآن بفعل الاستكبار << فأمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَروا في الأَرْض بغَيْر الحَقّ وقَالُوا مَنْ أَشَدُّ منَّا قُوَّةً...>> (**فصلت، 15**)، وهذا يظهر أن الاستعلاء يرتبط إلى حد كبير بامتلاك القوة والسلطة والمال وتوظيفها في الاستبداد واستضعاف الآخرين واذلالهم.

لكن المصطلح أخذ مؤشرات أخرى كما ظهر عند سومنر عندما تحدث عن الاستعلاء العرقي في مفهومه المركزية العرقية Ethnocentrism (Sumner, 1907, p. 13) ذلك الاستعلاء "الشعوبي" أو "الآري" أو "العرقي" الضمني والصريح المتجذر في الوعي والسلوكات وأيضا في اللاوعي والأفكار والمتخيلات والتمثلات والمشاعر، أو ما أطلقت عليه عالمة النفس الأمريكية ايبرهارت "التحيز اللاواعي أو عنصرية اللاوعي" (Eberhardt, 2019) المتأصلة في الثقافة المستعلية التي تنظر إلى الآخر من فوق من أعلى " **لأنّك شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض**" (**سفر التثنية 7:6 أيضا سفر التثنية 2:14**) من هذه العنصرية ذات التبرير الديني إلى العنصرية ذات التبرير العلمي Scientific Racism نجد من يجعل عرقه هو العرق المتفوق "عرق الأسياد"، صحيح أن منظمات حقوق الانسان الدولية والوطنية عملت على نشر ثقافة المساواة والأخوة البشرية ودعم الاعلام المسألة كثيرا لكن على مستوى الممارسات تظهر الازدواجية وتبرز مفارقة متناقضة مع الواقع، فالمواطن العربي أو الافريقي على أرض غربية مشتبه به محتمل ومشروع متهم قبل وقوع الحدث، لقد شاهدنا على القنوات التلفزية الغربية كيف برز التمييز العنصري بين

العرق الأوربي والأعراق العربية والافريقية في الحرب الأوكرانية الروسية، يخفي اللاوعي الغربي الثقافة الأم المتجذرة في الانفعالات الدفينة للوعي الغربي المستعلي على الآخر "المسلم/ العربي/ الافريقي"، الأمر مخيف جدا ينذر بهشاشة المنظمات الدولية الغربية المدافعة عن حقوق الانسان والعدالة البشرية والحرية، ويكشف حجم الازدواجية بين النظرية والممارسة في الفكر الغربي ويخلق شعور قوي بعدم الأمان وعدم اليقين.

وإذا كنا تحدثنا سابقا عن عدم الاعتراف بالمرأة فلأن الرجل تاريخيا يستعلي على المرأة بحجج بيولوجية شعارها عدم الكفاية الجسدية والعقلية أثبت العلم الحديث بطلانها، فهو القوي وهي الضعيفة، وهو العقلاني وهي العاطفية وهو من المريخ وهي من الزهرة وهو من تراب وهي من ضلعه الاعوج، وقد أثار انتباهي غاستون بوتول عندما قدم كرونولوجيا سريعة لحكم النساء على أنها فترات زاهية في تاريخ الدول إلا أنها كانت في ضل الأنظمة الملكية حيث ترث المرأة الحكم بالسلالة، لكن عندما أصبح الحكم جمهوريا لم يعد للنساء أي حق في ذلك، لطالما استغل الرجل العلم والدين لإثبات تفوقه المفرط على المرأة ومن غير الممكن فهم ذلك من خلال أعمال ميدانية تعتمد على تقنية الاستبيان أو المقابلة فقط فالمفارقة بين القول والفعل قد تكون حاضرة، في مثل هذه الحالات المعايشة تكشف الحقائق أكثر وبشكل أعمق.

في ظل النظرة الاستعلائية تغيب الندية وهذا لا يعني أننا نتحدث عن إلغاء التدرج السلمي للسلطة ولا إلغاء التخصص ولا بخص الكفاءة ولا رفض تقسيم الأدوار بين الرجال والنساء داخل المنزل، وإنما نتحدث عن نكران أهمية ودور الآخر في الفعل الاجتماعي، لذا نجد بعض الأدوار ا لاجتماعية تعاني الغبن وأصحابها مهمشون وأحيانا لا نشعر بوجودهم كعمال النظافة، أيضا ما يطلق عليهم عندنا Les manœuvres وهم العمال الذين يستخدمون للمساعدة في بعض الأعمال التي غالبا ما تكون شاقة، كذلك Les jardiniérs، والحمالين ... تلك المهن المحقّرة اجتماعيا تخلق شعور حقيقي غير متوهم بضعف المكانة الاجتماعية، الخروج من هذا المأزق بالحديث عن Eidos الجوهر المتماثل أو المشترك الإنساني غير ممكن ولا حتى بالآدمية الواحدة من منطلق ديني فهذه مسائل فردية تتعلق بكل ذات على حدة، لكن المعضلة أن المهن والرأسمال المادي والاجتماعي والثقافي وحتى البيولوجي كلون البشرة والقامة والصحة والمرض تخلق اختلافات محددة سلفا في ذهن المجتمع تتضمن الاقصاء والتهميش والاستعلاء والرفض وبالمقابل

التمجيد والتكريم والاعتراف والاعلاء، وفي مثل هذه الحالات ما يتم الحصول عليه بالنضال والقانون لا يمكن الحصول عليه بالاعتراف.

4– رفض الآخر

رفض الآخر قد ينتج عن الاستعلاء وعدم الاعتراف إذ غالبا ما تمثل الظواهر الاجتماعية من شدة تعقيدها شبكة متداخلة من العوامل، لكنني أريد أن أركز على خاصية أخرى في رفض الآخر وهي الخوف منه، فقد نقصي الآخر في حالة خوفنا منه انطلاقا من معتقدات تشكلت لدينا سلفا واستدمجت في مدركاتنا وأذهاننا وذواتنا وهي لا تتأسس بالضرورة على تجربة شخصية، مثل الخوف من خريجي السجون الذين يتعرضون للإقصاء في مجالات العمل وبالأخص في القطاع الخاص، ويجدون صدودا اجتماعيا مرهقا لاستعادة مسار حياتهم، واستعادة الهوية الشريفة والحصول على القبول الاجتماعي، وذلك خوفا من ماضيهم الذي تحول إلى وصمة عار ملازمة لهم لا تفلح القوانين في فعل الكثير أمامها، إنهم يمثلون المخاطر المحتملة الوقوع في مجتمع يحذر العواقب "ولا يوزع صكوك الغفران" ويدينهم بوصمة العار ولا يبالي إن كانوا ضحايا الآلة العقابية كما يسميها Grégory Salle، وسواء سميت مؤسسة عقابية كما كان الحال منذ سنوات خلت أو سميت مؤسسة إصلاحية كما هو الشأن الآن فإن تمثلات المجتمع عن السجن ونزلائه قاسية وتمثلاته عن المرأة السجينة مفرط القساوه.

من أشكال الرفض ظاهرة جديدة على المجتمع الجزائري وهي رفض الأحياء الجديدة التي تشكلت حديثا من سكان عدل للمرحلين الجدد نحو السكنات الاجتماعية المجاورة والملاصقة كما حدث مؤخرا في حي الموز بالعاصمة أو في براقي، إذ رفض السكان الذين استوطنوا المنطقة– في إطار سكنات عدل–المرحلين الجدد في إطار السكنات الاجتماعية القادمين من أحياء باب الواد (الكاريار) وأحياء أخرى وصفت بالأحياء الخطرة وبعضها وصف بالشديد الخطورة، أدى هذا الرفض إلى اشتعال أحداث عنَف خطيرة وهذا بسبب رفض هؤلاء المرحلين الجدد باعتبارهم غير مرغوب فيهم كجماعات قدمت من أحياء متهمة بالمخدرات والجريمة والعنف، هذا "الترحيل الجماعي" نَقْل" أحياء سكنية بأكملها إلى منطقة واحدة يثير مخاوف سكان المنطقة المستقبلة، التي تشكلت من تنوع سكاني جديد بدأ يرتب فضاءه الحضري ويخلق قواعده الناظمة لعلاقات الجوار ويشكل رصيده من التبادلات الاجتماعية، ويصنع في نفس الوقت فتوته المسيطرة على المكان، يبدو أن الدولة لم تفكر في عواقب هذا الاقتلاع الجماعي لإعادة الغرس الجماعي في

"حديقة واحدة"، هذا الشكل من الترحيل هو إعادة إنتاج نفس الممارسات في مكان جديد، ليست المسألة في كل الأحياء على هذا المنوال فالظاهرة جد معقدة لكن هذا جانب وقفنا عليه حقيقة في بعض الأحياء الجديدة، وهذا الرفض للآخر الذي يملك نفس الحق في السكن وفي المكان بالعنف والقوة يكشف عن ثقافة إقصاء مقلقة.

فئة أخرى تعاني من الإقصاء هم المعاقون فرفض المعاق الصحيح للمعاق ليست مسألة حديثة، هؤلاء الضعفاء بدنيا أو عقليا أو حسيا لم يكن لهم مكانا في جمهورية أفلاطون منذ أربع مائة سنة قبل الميلاد، ومازال المعاق مرفوض من المشاركة في الفعل الاجتماعي خوفا من أن يتحول إلى مجرد عبء وعائق بدل أن يكون مشارك فاعل، وتعريف اتفاقية الأمم المتحدة للمعاق (United Nations, 2007) يؤكد على تلك الرؤية إذ تعرف المعاق بأنه شخص تمنعه حواجز بدنية أو ذهنية أو حسية من المشاركة بصورة كاملة وفعالة في المجتمع على قدم المساواة مع الأشخاص الاصحاء، يحتاج إلى الرعاية فهو قاصر في توجيه ذاته ورعايتها، وفق هذا التعريف يحيل مجتمع الاصحاء المعاق إلى عالم العناية والرعاية الخيرية، هذا التضامن الاجتماعي المعلن من خلال الجمعيات والخطاب الديني والسياسي وحتى القانوني يقابله رفض ضمني للمعاق في مجال الوظائف والزواج ومكاسب الحياة، إنه موضوع للشفقة والرحمة والرثاء، كان لي لقاء في إحدى المرات مع العميان في مصنع المكانس بالحراش الذي أغلق الآن وقلت لصديقتي هل كانوا يروضون بالعمل في هذه الظروف لو كانوا مبصرين وأجابتني في ماذا يفيد العميان المناظر المبهجة وهل تضرهم المناظر القذرة، ثلاثة آلاف مكفوف أحيلوا على البطالة هذا أضرهم كثيرا وضاعف من حجم معاناتهم، حتى وإن كان الأمر يتعلق بالمسألة الاقتصادية للمصنع ومسالة المنافسة والربح والخسارة غير أن حصول المعاق على وظيفة احتاج إلى (قانون رقم 02-09، 2002) ليضمن له واحد بالمائة في بعض الوظائف الممكنة، ذلك الواحد غير معترف به في الوظائف الخاصة ومرفوض بشدة، وهو في الوظائف العامة يكاد يكون رقما مستحيلا.

تعريف هيئة الأمم المتحدة للشخص المعاق ذا منحى وظيفي ينظر إليه من خلال الأدوار التي لا يستطيع القيام بها والمحددة سلفا والتي قد تخلق اختلالات وأعباء داخل الاسرة والمجتمع يمكن تجاوزها من خلال قيم التضامن والرعاية والأفعال التراحمية، لكن هل يوجد مشاركة مجتمعية كاملة فعلا كما ذكر التعريف وما هي حدود تلك الفعالية التي إن وصل إليها المعاق تجعله على قدم المساواة مع الأشخاص الأصحاء، تعريف هيئة الأمم المتحدة هو صورة تكاد تكون مطابقة

لتعريف الإعاقة في قوانين المجتمعات المختلفة يميل إلى إظهار أسوء ما عند المعاق حيث الإعاقة خلل في منحنى الاعتدال، ويغفل عن أن يظهر أفضل ما عندهم كالقدرة على التكيف والتطور والكفاح، صحيح أن التعريف يهدف إلى ضمان حقوق المعاقين ويحفظ لهم استثناء خاص من الرعاية والحماية والاهتمام لكنه في نفس الوقت يظهر المعاقين كفئة عالة وعبء هذه الصورة مترسخة سواء في الوعي أو اللاوعي الجمعي وتحدد مسبقا توقعات جد منخفضة لذوي الإعاقة، التضامن وأخلاق الرعاية والأفعال التراحمية تدخل ضمن التركيبة الإنسانية وموجودان في حياتنا اليومية بمختلف الأشكال ولا يقتصران على ذوي الاحتياجات الخاصة، لكن يبقى التهميش والاقصاء والرفض حقيقة واقعية إنهم منبوذون خارج عالم التبادلات والروابط الاجتماعية العادية خاصة على مستوى العمل والزواج والعلاقات الحميمية، والقوانين لا سلطة لها على ذلك العالم، كما يقول Alain Blanc هناك فجوة سيئة السمعة بين النوايا والإنجازات فالعلاقات بين الأصحاء والمعاقين لا تزال صعبة

.(Blanc, 2015, p. 15)

خاتمة:

الإقصاء الاجتماعي يخلق الصراع ويصنع الإحباط ويولد عدم الشعور بالأمن، وهي نفس المظاهر التي تبدو كما تم وصفها في المجتمع الفض الخطر لسيباستيان روشي (Roché, 1996) الموسوم بتفكك المؤسسات الاجتماعية وضعف الرابط المدني، واستحالة العيش مع الآخر، واستحالة الوثوق به، واستحالة احترام الحقوق، وفقدان الثقة في مستقبل مليء بمخاطر الإقصاء كالطرد من العمل، الفقر، العزلة، شيخوخة صعبة، الكدح المذل، تمرد الأبناء، العنف، الفضاضة وقلة الاحترام.

من الواضح أن دراسة الاقصاء بكل أبعاده هو من زاوية أخرى دراسة للعنف المادي والعنف الرمزي على أطروحات التنوع وأشكال الاختلاف وتطرح مخاطر الانخراط في الفعل أو البقاء داخل سكينة الكهف متفرجين في صمت، وقد يصبح الإقصاء عرفا غير معلن فتظهر أشكال جديدة من الاقصاء الاجتماعي مثل إقصاء البدناء خاصة في الغرب بسبب الهوس بالرشاقة واللياقة تحت تأثير الإعلام والإعلانات والهوس بنجوم السنيما والرياضة، في الجزائر أصبح التنمر في المؤسسات التعليمية وفي العمل مظهر جديد من مظاهر الاقصاء يختفي خلف المضايقات والبلطجة التي تعكس علاقة قوة غير متكافئة بين المتنمر والضحية، في مثل هذه الحالات يصبح الإقصاء مطابق تماما لمفهوم الإزدراء والاحتقار والاذلال الذي تحدث عنه إكسل هونيث في كتابه مجتمع الإحتقار حيث تتم معاملة الآخر وكأنه غير موجود تماما، شفاف، غير مرئي، أو يلقى بالشخص خارج الروابط والتبادلات الاجتماعية، أو يتعرض للاستئساد والحقرة، الظاهرة قد تأخذ منحنيات أعمق فالمسألة معقدة جدا وتتعلق بتغير مفاهيمنا ورؤيتنا للحياة المرغوبة والمجتمع المنشود، ومستوى التماسك الاجتماعي، وفاعلية المجتمع المدني، ونسق القيم السائد، وفلسفة الدولة الاجتماعية هل تتبنى نهج داعم للهشاشة من فقر وبطالة طويلة الأمد وطفولة مسعفة ومعاقين ومسنين ومشردين، أم تتخلى عن تلك المسؤوليات للتضامن الاجتماعي وأعمال الخير وأشكال التراحم المختلفة والتي مع أهميتها لا يمكن أن ترقى إلى فعل الدولة.

طرحت الأدبيات حول الظاهرة بعض المقاربات لتجاوز الإقصاء غير كافية لكنها جد هامة، يقترح ألان تورين (Touraine, 1991, pp. 7-13) العلاج السياسي لمشكل الاقصاء الذي يولد من الصراعات الداخلية القائمة على التمييز والفصل بين المركز والهامش لذا يجب خلق وسائل وأشكال من الفعل السياسي تسمح بالإدماج الاجتماعي للمهمشين، بالنسبة لميشيل أوتيس

(Autés, 1995, pp. 43-53) الاقصاء مشكلة اجتماعية سياسية لذا إعادة النظر في السياسات العامة ذات الخيارات الليبيرالية المتوحشة أمر مهم، وإعادة الاعتبار للاجتماعي وخلق القواعد التي تصنع التوافقات وتسير الصراعات وتنتج التماسك الاجتماعي.

في حين تطرح دينا وايت (White, 1994, pp. 37-49) فكرة التعاون بين الدولة والقطاع الخاص والمجتمع لإدارة أزمة التهميش والاقصاء والعمل معا على حلها وتجاوزها نحو مجتمع الرفاه، وتأكد على أهمية ودور المجتمع والأسر والجمعيات المدنية في تقديم الإضافة النفسية والروحية في هذا المجال خاصة أمام الاقصاء الاقتصادي، يبدو أنها دعوة لاستعادة الروابط الاجتماعية في الغرب المعاصر من أجل تلطيف الحرمان وأوجاع التهميش والاقصاء.

في الجزائر على هذا المستوى العلاقات التراحمية أصبحت تبرز في أفعال الشباب المتحمس للحضور في الفعل الاجتماعي خارج المؤسسة الدينية من خلال الجمعيات المدنية المحلية لكنها تبقى محدودة سواء على مستوى الانتشار والاتصال بالمجتمع المحلي أو على مستوى الإمكانيات، ومع أن أطروحة التضامن الاجتماعي متجذرة في المجتمع الجزائري ترعاها المؤسسة الدينية والمؤسسات الخيرية والثقافة المجتمعية غير أننا نتفق مع Deena White أن الجمعيات المدنية تستطيع تقديم المواساة والعمل على الأشخاص المهمشين لكنها غير قادرة على العمل على ظروف الحياة وأسباب الإقصاء، إضافة إلى أن الإقصاء ظاهرة معقدة لا تتعلق بمظهر واحد محدد أو فئة معينة هذا الوضع الذي يطلق عليه كاستل –عالم الاجتماع الفرنسي المتخصص في الاقصاء الاجتماعي – فخاخ الإقصاء (Castel, 1995, pp. 13-21) لا يمكن أن تحيط به الجمعيات المدنية ولا بأبعاده المتشابكة.

في مجتمعنا الجزائري معالجة مشكل الإقصاء يتطلب مشروع سياسي مجتمعي تعمل فيه مؤسسات المجتمع معا لإعادة بناء اللحمة المجتمعية والقيم الإسلامية القائمة على الاحترام المتبادل، واستعادة الروابط الاجتماعية التراحمية والقيم الإيمانية الروحية الخلاقة المتجاوزة للبعد المادي للإنسان واستيعاب البعد الآدمي المتشارك سواسية في الحياة، وفي نفس الوقت احترام العلاقات التعاقدية التي يرعاها القانون الصارم لخلق الشعور بالحماية من الحقرة وضياع الحقوق.

المراجع

باللغة العربية:

– أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة/مؤسسة ترجمان، لبنان/الأردن، دت
– دينكس ميتشل، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1981

– روي رودجرز, التفاعل والتعامل العائلي : طريقة فهم تطويرية، تر: بونسو جرجوس منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1986

- باربرا ويتمر، الأنماط الثقافية للعنف، تر: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 337، مارس 2007

- حسين درويش العادلي، العنف ضد المرأة الاسباب والنتائج، *مجلة النبأ*(78)، أوت 2005، تم الاسترداد بتاريخ 25 ماي 2023 من https://annabaa.org/nbahome/nba78/014.htm

- غاستون بوتول، سوسيولوجيا السياسة، تر:نسيم نصر، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1980

- فليب كابان وجان فرنسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية: أعلام وتواريخ وتيارات، تر: إياس حسن، ط1، دار الفرقد، دمشق، 2010

– قانون رقم 02-09 مؤرخ في 25 صفر عام 1423 الموافق 08 ماي سنة 2002 المتعلق بحماية الأشخاص المعوقين وترقيتهم، الجريدة الرسمية، عدد 34 الصادرة بتاريخ 14 ماي 2002

- وكالة الأنباء الجزائرية، تراجع في قضايا الأطفال وضحايا الإجرام والعنف ضد المرأة، 21 نوفمبر، 2022، تم الاسترداد بتاريخ 20 ماي 2023 من https://www.aps.dz/ar/societe/134958-2022-11-21-15-50-11

باللغة الأجنبية

- Alain, Blanc. Sociologie du handicap, 2e éd, éd Armand Colin,. Paris, France. 2015
- Alain, Touraine.. Face à l'exclusion. Esprit, Paris, février 1991
- Deena, White . La gestion communautaire de l'exclusion. Lien social et Politiques, Montréal (Québec), (32). 1994
- Fengqing, Chao., Gerland, Patrick., Cook, Alex. Richard, Guilmoto, Christophe. Z., & Alkema, Leontine. Projecting sex imbalances at birth at global, regional and national levels from 2021 to 2100: scenario-based Bayesian probabilistic projections of the sex ratio at birth and missing female births based on 3.26 billion birth records. BMJ Global Health, LONDON, 2021.6 (8), e005516
- George, Sabu. M., & Dahiya, Ranbir. S. Female foeticide in rural Haryana. Economic and Political Weekly, India, August, 1998, 33(32),
- hamid, Sarfraz, H. Alienation: A theoretical overview. Pakistan Journal of Psychological Research, Pakistan, 12(1-2), 30 January, 1997
-Jennifer Lynn. Eberhardt. How Bias Works, Organized by RSA Replay, Diffusée en direct le 25 avr. 2019, Retrieved 4 May 2023, from https://youtube.com/watch?v=YMX0QzHbSOU
- Michel, Autés. Genèse d'une nouvelle question sociale: l'exclusion. Lien social et Politiques, Montréal (Québec), (34). 1995

- Nancy, Fraser. Justice sociale, redistribution et reconnaissance 1. Revue du MAUSS, Paris, 23(1), 2004
- Office des Nations unies contre la drogue et le crime [UNODC]. (2022). Gender-related killings of women and girls (femicide/feminicide). Vienna. Retrieved june 2023, from https://www.unodc.org/documents/data-and-analysis/briefs/Femicide_brief_Nov2022.pdf
- Oomman, Nandini., & Ganatra, Bela. R. Sex selection: the systematic elimination of girls. Reproductive health matters, London 10(19), May, 2002
- Robert, Castel. les piégés de l'exclusion. Lien social et Politiques, Montréal (Québec), (34), 1995
- Sébastien, Roché. (1996). La société incivile : qu'est-ce que l'insécurité ? (éd. 1e éd). Paris, France : Seuil.
-United Nations, Convention on the Rights of Persons with Disabilities, 2007, Retrieved 26 may 2023, from https://www.ohchr.org/en/instruments-mechanisms/instruments/convention-rights-persons-disabilities

- William Graham, Sumner. (1907). Folkways A Study of the Sociological Importance of Usages, Manners, Customs, Mores, and Morals. Boston, U.S.A: The Athenaeum press.
- World Health Organization [WHO]. (2021, March 9). Home / News /Devastatingly pervasive: 1in 2 women globally experience violence. Retrieved 26 may 2023, from World Health Organization: https://www.who.int/news/item/09-03-2021-devastatingly-pervasive-1-in-3-women-globally-experience-violence